ثانيا: الدراسات الإسلامية

فطنه الأنبياء في القرآن الكريم

الباحثة : أميرة عبد الله إبراهيم اسماعيل

School of the Holy Qur'an and Sharia Sciences at Al-Azhar Al-Sharif

الملخص باللغة العربية:

هذا بحث تكميلى لنيل درجة التخصص(الماجستير) فى الدراسات الافريقيه-الاسيويه بعنوان: مفهوم الذكاء والقدرات الفرديه فى القرآن الكريم دراسة تحليلية بدأ الحديث فى هذا البحث بالمقدمة وفيها الحمد والثناء على الله ﷻ والصلاة والسلام على النبى محمد ﷺ ثم بيان اهميةالموضوع وأسباب اختياره وبيان منهج البحث و خطة البحث ,طوف البحث حول عناية القرآن الكريم بالذكاء والقدرات الفردية وأعمال العقل بشكل واضح وجلى فى العديد من آياته توجيهاته لذلك حرص الإسلام على مخاطبة الناس على قدر عقولهم وعلى مقدار مايستوعبون ويفهمون مراعاة منة بالفروق الفرديه والتفاوت بينهم، وقول الرسول ﷺ""نحن معاشر الانبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم".

Research Summary:

This is a complementary research to obtain the degree of specialization (Master's) in African-Asian studies, entitled: The concept of intelligence and individual abilities in the Holy Qur'an, an analytical study. The discussion in this research began with the introduction, in which praise and praise be to God, may God bless him and grant him peace, and prayers and peace be upon the Prophet Muhammad, may

God bless him and grant him peace. Then, an explanation of the importance of the topic, the reasons for its selection, and a statement of the methodology. The research and the research plan, the research on the Holy Qur'an's attention to intelligence, individual abilities, and the actions of the mind, clearly and clearly in many of its verses, its directives. Therefore, Islam was keen to address people according to the extent of their minds and the extent of what they comprehend and understand, taking into account the individual differences and disparity between them. God Almighty said :And the Messenger, peace and blessings of God be upon him, said, "We, the prophets, have been commanded to put people down in their homes and speak to them according to their understanding".

Researcher Amira Abdullah Ibrahim Ismail

المقدمة

الحمد لله الذي تنزه في كبريائه عن الشركاء والأمثال، وانفرد في كماله بنعوت الجمال والجلال فلا تُدرك عظمته ولا تنال، وتعالى في أزليته عن سمات الحدوث من التغير والزوال، تباركت آياته، وتعالت كلماته، وتقدست ذاته، وتسامت صفاته.

وأشهد أن لا إله إلا الله، تنزه عن الاحتياج إلى التنزيه، وتقدس في عظمته عن التمثيل والتشبيه لا يحيط به العلم ولا يدركه، ولا يتصوره العقل، حجاب العزة دون سبحاته مسدل وباب الوقوف على معرفة ذاته مقفل، هو سبحانه، كما علم نفسه، واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله، المبعوث بخير الأديان، في أعظم البقاع وأشرف البلدان، فهو ﷺ نبي الحرمين، وإمام القبلتين، وصاحب الجمعة والعيدين، وهو صفوة الخلق، وأرفعهم منزلة وشأناً، وأكمل داع إلى الهدى ودين الحق، وأقواهم عزاً وبرهاناً أما بعد فإن الإسلام عند ظهوره، أثرى حركة الحياة في جوانبها المختلفة، وعلى وجه الخصوص الجانب الثقافي منها، وما زالت حركة الحياة ثرية بمعطيات الإسلام، أما بعد ،،،،

فإن الدين الإسلامي أقر بالفروق الفردية بين الأفراد أو بمعنى آخر أقر مبدأ الاهتمامات المختلفة، حيث ان الله سبحانه وتعالى خلق الناس جميعاً ونثر عليهم النعمة والحياة وجاء كل واحداً منهم مختلفاً عن الآخر لا يشابهه ولا يطابقه حيث أكد على هذا الاختلاف بقوله تعالى: ﴿**وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**﴾ ولا يعتبر مبدأ الفردية اكتشافاً علمياً جديداً فقد جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ما يدل عليه، قال تعالى: ﴿**وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**﴾[1] .

وفي آية أخرى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[2] وإذا كان القرآن الكريم يقر بالفروقات والاختلافات بين البشر، فهو لا يترك الأمة بلا هوية ولا مكان، بل يحدد لها مكاناً بين الأمم من خلال ذلك الدور المنوط به بين الأمم حينما تشهد عليهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾[3] .

وقول الرسول ﷺ: ((نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم))[4].

لذلك حرص الإسلام على مخاطبة الناس على قدر عقولهم وعلى مقدار ما يستوعبون ويفهمون.

إن هذا الاختلاف والتمايز بين الأفراد أعطى للحياة معنى وجعل للفروق الفردية أهمية في تحديد وظائف الأفراد، وأيضاً ركيزة أساسية لتحديد المستويات العقلية والأدائية الراهنة والمستقبلية للأفراد.

ولذلك أصبحت الاختبارات العقلية وسيلة مهمة تهدف إلى دراسة احتمالات النجاح والفشل العقلي في فترة زمنية لاحقة.

ولما أتيحت لي الفرصة وأنا بصدد التسجيل لدرجة التخصص (الماجستير)، هداني الله تعالى أن أجمع خطة بحث متواضعة لما هديت إليه من الحديث عن هذا الموضوع أسميته: ((مفهوم الذكاء والقدرات الفردية في القرآن الكريم دراسة تحليلية)) سائلاً الله تعالى أن يوفقني فيما أقدمت عليه، وأن يجعل ما نويتُهُ خالصاً لوجهه الكريم.

أهمية الموضوع

تتضح أهمية الدراسة في هذا الموضوع في النقاط التالية:-

١- تجلت عناية القرآن الكريم بالذكاء والقدرات الفردية بشكل واضح وجلي في العديد من آياته وتوجيهاته

٢- مبدأ القرآن الكريم في مراعاة الذكاء والقدرات الفردية بين الناس .

٣- بيان أن القرآن متجدد ويناقش قضايا قديمة حديثه بدون تعارض وقد يوصلنا إلى نتائج لم يتوصل إليها العلم الحديث الابعد عدة قرون

أسباب اختيار الموضوع:

١- الرغبة في أن يأخذ هذا الموضوع حقه من الدراسة الوافية والمتخصصة، وجمع شتات هذا الموضوع ومسائله في دراسة واحدة مستقلة؛ حيث لم أجد دراسة أكاديمية – حسب علمي – تشبع مسائل هذه الموضوع بالدراسة والبحث.

٢- الإسهام بهذا البحث في خدمة الدين والمجتمع

أهداف البحث:

١- التعرف على مرادفات الذكاء الإنساني.

٢- بيان المبادئ التي ارتكز عليها القرآن في بيان الذكاء ومراعاة القدرات العقلية .

تساؤلات البحث:

١- ما هي مرادفادت الذكاء الإنساني في القرأن والسنة النبوية

٢- ما الحكمة من وجود القدرات العقلية

وأما منهجي في البحث فهو كالآتي:

أ . أقوم بإذن الله بعزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآيات كما قمت بتخريج الأحاديث والآثار، فما كان في الصحيحين فذلك دليلٌ كافٍ على صحته، وما لم يكن فيهما قمت بتخريجه مع ذكر الحكم عليه، مستعينًا بكلام الأئمة المحققين في ذلك .

ب . أقوم بإذن الله بالرجوع إلى المصادرِ الأصيلةِ لجمعِ مادةِ الرسالة وتوثيقِهَا، من أجلِ تأصيلِ هذا الموضوع المهم، والرجوع به إلى ينابيعِهِ الصافيةِ .

ج . التزم الأمانة العلمية في البحث كله، فنسبت كل قول إلى قائله، ومصدره، وأذكر في الهامش اسم الكتاب، ومؤلفه، والمترجم والمحقق إن وجد، ورقم الجزء ثم رقم الصفحة، ثم دار النشر

ورقم الطبعة، وتاريخها إن وجد ذلك وعند عدم وجودها أذكر كلمة "بدون". وإن كان النقل فيه تصرف أشير إلى ذلك، وإن كان هناك اختصارا قلت باختصار وهكذا.

د. أقوم بإذن الله بضبطُ النصوص الشعرية والأدبية، وعزوُها إلى من قالها مع بيانِ مَوْضِعِ الشاهِدِ منها إذا احتَاجَ إلى بيانٍ.

مرادفات الذكاء في الإسلام

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، قال تعالى: قَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ(٥)، كما فضله على كثير من خلقه وميزه بمميزات كثيرة، قال تعالى: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا(٦).

ومما ميز الله به الإنسان العقل الذي هو مناط التكليف، ومن لوازم العقل الذكاء الذي سما الله به، عندما خاطب العقلاء محدداً لهم وظيفة العقل، مبيناً لهم آثار إعماله في حياتهم، قال تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ(٧).

وقد تعددت مرادفات الذكاء في القرآن الكريم، وبيان ذلك على مبحثين. المبحث الأول ذكاء الانبياء فى القرآن الكريم ومرادفاتها ومدلولاتها كالتالى/

أولاً: اللين:

قال تعالي: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ (٨).

قال الفخر الرازي – رحمه الله –: "واعلم أن القوم لما انهزموا عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ثم عادوا لم يخاطبهم الرسول ﷺ بالتغليظ والتشديد، وإنما خاطبهم بالكلام اللين، ثم إنه سبحانه وتعالى لما أرشدهم في الآيات المتقدمة إلى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم، وكان من جملة ذلك أن عفا عنهم، زاد في الفضل والإحسان بأن مدح الرسول صلى الله عليه وسلم على عفوه عنهم، وتركه التغليظ عليهم فقال: فبما رحمة من الله لنت لهم"(٩).

فهذه الآية الكريمة تشير إلى ان لين النبي ﷺ ورفقه بأصحابه دليل على ذكائه وفطنته، لأنه لو كان فظاً غليظ القلب، لانفض أحابه من حوله، وابتعد الناس عن دعوته.

ثانياً: الفهم:

من ذلك قوله تعالى وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ (٧٨)فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ (٧٩)وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ (٨٠)وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ(١٠).

ذكر المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآيات روايات ملخصها: أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب زرع، والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الزرع لداود:

يا نبي الله، إن غنم هذا قد نفشت في حرثي فلم تبق منه شيئا، فحكم داود عليه السلام لصاحب الزرع أن يأخذ غنم خصمه في مقابل إتلافها لزرعه.

وعند خروجهما التقيا بسليمان عليه السلام فأخبراه بحكم أبيه. فدخل سليمان عليه السلام على أبيه فقال له: يا نبي الله، إن القضاء غير ما قضيت، فقال له: كيف؟ قال: ادفع الغنم إلى صاحب الزرع لينتفع بها، وادفع الزرع إلى صاحب الغنم ليقوم عليها حتى يعود كما كان. ثم يعيد كل منهما إلى صاحبه ما تحت يده، فيأخذ صاحب الزرع زرعه، وصاحب الغنم غنمه. فقال داود عليه السلام القضاء ما قضيت يا سليمان(١١).

قوله تعالى: "ففهمناها سليمان" أي: ففهمنا سليمان الحكم الأنسب والأوفق في هذه المسألة أو القضية، وذلك لأن داود- كما يقول العلماء. قد اتجه في حكمه إلى مجرد التعويض لصاحب الحرث. وهذا عدل فحسب.

أما حكم سليمان فقد تضمن مع العدل البناء والتعمير، وجعل العدل دافعا إلى البناء والتعمير.

وهذا هو العدل الحي الإيجابي في صورته البانية الدافعة، وهو فتح من الله وإلهام يهبه من يشاء(١٢).

وقد توسع بعض المفسرين في الحديث عن هذا الحكم الذي أصدره داود وسليمان في قضية الحرث أكان بوحي من الله إليهما، أم كان باجتهاد منهما، وقد رجح بعض العلماء أنه كان باجتهاد منهما فقال: اعلم أن جماعة من العلماء قالوا: إن حكم داود وسليمان في الحرث المذكور في هذه الآية كان بوحي، إلا أن ما أوحى إلى سليمان كان ناسخا لما أوحى إلى داود.

وفي الآية قرينتان على أن حكمهما كان باجتهاد لا بوحي، وأن سليمان أصاب فاستحق الثناء باجتهاده وإصابته، وأن داود لم يصب فاستحق الثناء باجتهاده، ولم يستوجب لوما ولا ذما لعدم إصابته.

كما أثنى- سبحانه- على سليمان بالإصابة في قوله فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ وأثنى عليهما في قوله: وَكُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً(١٣).

يتضح من هذا أن فهم سليمان للحكم في هذه القضية دليل على ذكائه وفطنته، التي ألهمه الله إياها، وأمده بها.

ثالثاً: الفقه:

من ذلك قول الله تعالى: قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ (١٤).

قال أبو السعود: "الفقه معرفة غرضِ المتكلّم من كلامه أي ما نفهم مرادَك وإنما قالوه بعد ما سمعوا منه دلائلَ الحقِّ المبينِ على أحسن وجهٍ وأبلغِه وضاقت عليهم الحيلُ وعيَّت بهم العلل فلم يجدوا إلى محاورته سبيلاً سوى الصدودِ عن منهاج الحقِّ والسلوكِ إلى سبيل الشقاءِ كما هو ديدَنُ المفحَمِ المحجوجِ يقابل البيناتِ بالسبّ والإبراق والإرعاد فجعلوا كلامَه المشتملَ على فنون الحِكَم والمواعظِ وأنواعِ العلومِ والمعارفِ من قبيلِ ما لا يفهم معناه ولا يُدرك فحواه"(١٥).

تبين هذه الآية الكريمة أن الفقه في بمعنى الفهم، ولا يكون الفهم إلا عن ذكاء وفطنة.

رابعاً: الحكمة:

من ذلك قوله تعالى: وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ(١٦).

الحكمة: اكتساب العلم النافع والعمل به. أو هي: العقل والفهم. أو هي الإصابة في القول والعمل.

والمعنى: والله لقد أعطينا- بفضلنا وإحساننا- عبدنا لقمان العلم النافع والعمل به.

وقوله- سبحانه- أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ بيان لما يقتضيه إعطاء الحكمة. أى: آتيناه الحكمة وقلنا له أن اشكر لله على ما أعطاك من نعم لكي يزيدك منها(١٧).

ومن ذلك قوله تعالي: يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ (١٨).

والْحِكْمَةَ مشتقة من حكم بمعنى منع، لأنها تمنع صاحبها من الوقوع في الخطأ والضلال ومنه سميت الحديدة التي في اللجام وتجعل في فم الفرس حكمة لأنها تمنعه من الجموح. أو هي في الأصل مصدر من الإحكام وهو الإتقان في علم أو عمل أو قول أو فيها كلها.

والحكمة بالنسبة للإنسان صفة نفسية هي أساس المعرفة السليمة التي توافق الحق، وتوجه الإنسان نحو عمل الخير، وتمنعه من عمل الشر، فهي فيه مانعة ضابطة تسير به نحو الكمال والاستقامة وللعلماء في المراد بها في الآية الكريمة أقوال كثيرة أرجحها أن المراد بها إصابة الحق في القول والعمل، أو هي العلم النافع الذي يكون معه العمل به(١٩).

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد- أى لا غبطة- إلا في اثنتين: رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله- تعالى- الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها»(٢٠).

ثم قال- تعالى-: وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ.

والألباب جمع لب وهو في الأصل خلاصة الشيء وقلبه، وأطلق هنا على عقل الإنسان لأنه أنفع شيء فيه.

والمراد بأولى الألباب هنا أصحاب العقول السليمة التي تخلصت من شوائب الهوى، ودوافع الشر، فقد جرت عادة القرآن ألا يستعمل هذا التعبير إلا مع أصحاب العقول المستقيمة.

أى: وما يتعظ بهذه التوجيهات القرآنية، وينتفع بثمارها إلا أصحاب العقول الراجحة والنفوس الصافية التي اهتدت إلى الحق وعملت به، والتي أنفقت في سبيل الله أجود الأموال وأطيبها لا أصحاب العقول الفاسدة التي استحوذ عليها الشيطان فأنساها ذكر الله، والتي ترى أن البخل بالمال هو الحكمة، وأن الإنفاق في سبيل الله هو نوع من الإسراف والتبذير(٢١).

ومن ذلك قوله تعالى ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝ (٢٢).

وعلى ذلك يمكن القول: إن اكتساب الحكمة لا يكون إلا عن عقل راجح، وبصيرة ثاقبة، وفكر ناضج، وكل ذلك مرادف للفطنة والذكاء.

خامساً: البصيرة:

من ذلك قوله تعالى بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝ (١٤)وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝ (١٥)(٢٣).

قال الزمخشري: بصيرة: حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز، كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً أو عين بصيرة. والمعنى أنه ينبأ بأعماله وإن لم ينبأ، ففيه ما يجزئ عن الإنباء، لأنه شاهد عليها بما عملت، لأنّ جوارحه تنطق بذلك يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ، "وَلَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ" ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها"(٢٤).

فالبصيرة هنا معناها الحجة الشاهدة، فالإنسان حجة بينة على نفسه، يشهد عليها بما عملت.

سادساً: الرشد:

من ذلك قول الله تعالى: وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا(٢٥).

قوله: {فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم} قال سعيد بن جبير: يعني: صلاحا في دينهم وحفظا لأموالهم. وكذا روي عن ابن عباس، والحسن البصري، وغير واحد من الأئمة. وهكذا قال الفقهاء متى بلغ الغلام مصلحا لدينه وماله، انفك الحجر عنه، فيسلم إليه ماله الذي تحت يد وليه بطريقه(٢٦).

وصلاح العقل وحسن التدبير لا يكون إلا عن ذكاء وفطنة.

سابعاً: الأشد:

من ذلك قول الله تعالى: وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (٢٧).

الأشد: قوة الإنسان واشتعال حرارته: من الشدة بمعنى القوة والارتفاع. يقال: شد النهار إذا ارتفع. وهو مفرد جاء بصيغة الجمع. ولا واحد له من لفظه.

والمراد ببلوغ أشده: أن يصل سنه على الراجح- إلى ثلاث وثلاثين سنة.

«حتى إذا بلغ أشده» أى: حتى إذا بلغ زمن استكمال قوته، وبلغ أربعين سنة وهي تمام اكتمال العقل والقوة والفتوة.

قالَ على سبيل الشكر لخالقه رَبِّ أَوْزِعْنِي ... أى: يا رب وفقني وألهمنى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلى والِدَيَّ بأن وفقتني ووفقتهما إلى صراطك المستقيم، وبأن رزقتهما العطف عليّ، ورزقتني الشكر لهما، ووفقني- أيضا- أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ منى، وتقبله عندك وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي أى: واجعل- يا إلهى- الصلاح راسخا في ذريتي، وساريا فيها، لأن صلاح الذرية فيه السعادة الغامرة للآباء.

إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ توبة صادقة نصوحا وإنى من المسلمين الذين أخلصوا نفوسهم لطاعتك، وقلوبهم لمرضاتك.

فأنت ترى أن الآية الكريمة قد اشتملت على أسمى ألوان الدعوات، التي عن طريق إجابتها تتحقق السعادة الدنيوية والأخروية.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: ما معنى «في» في قوله: وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي؟

قلت: معناه أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنته، كأنه قال: هب لي الصلاح في ذريتي، وأوقعه فيهم.

وفي الآية الكريمة: تنبيه للعقلاء، إلى أن شأنهم- خصوصا عند بلوغ سن الأربعين. أن يكثروا من التضرع إلى الله بالدعاء، وأن يتزودوا بالعمل الصالح، فإنها السن التي بعث الله- تعالى- فيها معظم الأنبياء، والتي فيها يكتمل العقل، وتستجمع القوة، ويرسخ فيها خلق الإنسان الذي تعوده وألفه ورحم الله القائل:

إذا المرء وافى الأربعين ولم يكن ... له دون ما يهوى حياء ولا ستر

فدعه، ولا تنفس عليه الذي مضى ... وإن جر أسباب الحياة له العمر[٢٨].

ثامناً: الفطنة:

من ذلك قول الله تعالى وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ[٢٩].

أي: وتلك الحجة التي لا يمكن نقضها أو مغالبتها في إثبات الحق وتزييف الباطل أعطيناها إبراهيم ليكون مستعليا بها على قومه، قاطعا لألسنتهم عن المجادلة والمخاصمة[٣٠].

تاسعاً: إعمال الفكر:

دلت الآيات القرآنية الى استخدام قدرتنا العقلية حتى نصل الى اكتشاف الحقائق والأدلة لحقيقة الكون، وهو ما نطلق عليه الذكاء، سواءً أكان مجرداً أم اجتماعياً، كما في قوله تعالى إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ [٣١].

وقد ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي، فيما أورده غير واحد، قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا موسى بن عقبة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن الأقرع بن حابس؛ أنه نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات، فقال: يا محمد، يا محمد – وفي رواية: يا رسول الله–فلم يجبه. فقال: يا رسول الله، إن حمدي لزين، وإن ذمي لشين، فقال: " ذاك الله، عز وجل"(٣٢).

إن الذين ينادونك– أيها الرسول الكريم– مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ. أي: خلف حجرات أزواجك وخارجها، أكثرهم لا يجرون على ما تقتضيه العقول السليمة، والآداب القويمة من مراعاة الاحترام والتوقير لمن يخاطبونه من الناس، فضلا عن أفضلهم، وأشرفهم، وذلك لأنهم من الأعراب الذين لم يحسنوا مخاطبة الناس، لجفائهم وغلظ طباعهم. وقال– سبحانه– أَكْثَرُهُمْ للإشعار بأن قلة منهم لم تشارك هذه الكثرة في هذا النداء الخارج عن حدود الأدب واللياقة.

قال صاحب الكشاف ما ملخصه: وورود الآية على النمط الذي وردت عليه، فيه ما لا يخفى على الناظر من إكبار للنبي صلّى الله عليه وسلّم وإجلال لمقامه.

ومن ذلك: مجيئها على النظم سجل على الصائحين به السفه والجهل بسبب ما أقدموا عليه. ومن ذلك: التعبير بلفظ الحجرات وإيقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه، والمرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذي يظهر به موضع الاستنكار عليهم.

ومن ذلك: شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم، وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات، تهوينا للخطب، وتسلية له صلّى الله عليه وسلّم

ثم أرشدهم– سبحانه– إلى السلوك الأفضل فقال– تعالى–: وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ.

أى: ولو أن هؤلاء الذين ينادونك– أيها الرسول الكريم– من وراء الحجرات، صبروا عليك حتى تخرج إليهم ولم يتعجلوا بندائك بتلك الصورة الخالية من الأدب، لكان صبرهم خيرا لهم وَاللَّهُ– تعالى– غَفُورٌ رَحِيمٌ أى: واسع المغفرة والرحمة(٣٣).

ثانيا المبحث الثانى /حيل المدعين وبطالها بذكاء الانبياء قال تعالى(وجادلهم بالتى هى احسن) سورة النحل الايه ٢٥ حيث وضح أن الله ارسلهم لإرشاد الناس وإقامة العقائد الصحيحة وابطال شبه المجالين والمنكرين وذلك لا يكون إلا من ذكى فطن قال تعالى (وتلك حجتنا ءاتيناها ابراهيم على قومه)سورة الانعام الايه ٨٣

وقال سبحانه وتعالى عن جهادهم واخلاصهم (لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمه لقوم يؤمنون)سورة يوسف الايه ١١١

الهوامش:

(٥) سورة التين، الآية: ٤.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٩) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة: ١٤٢٠هـ جـ ٩ صـ ٤٠٥.

(١٠) سورة الأنبياء، الآيات من ٧٨–٨١.

(١١) يُراجع جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م جـ ١٨ صـ ٤٧٥، وتفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م جـ ٥ صـ ٣٥٥.

(١٢) التفسير الوسيط، سابق جـ ٩ صـ ٣٣٥.

(١٣) يُراجع أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، طبعة ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م جـ ٤ صـ ١٧٠.

(١٤) سورة هود، الآية: ٩١.

(١٥) تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ جـ ٤ صـ ٢٣٥.

(١٦) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(١٧) التفسير الوسيط، سابق جـ ١١ صـ ١١٧.

[١٨] سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

[١٩] التفسير الوسيط، سابق جـ ١ صـ ٦١٩.

[٢٠] أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٢٥) برقم: (٧٣) (كتاب العلم ، باب الاغتباط في العلم والحكمة) ، (٢ / ١٠٨) برقم: (١٤٠٩) (كتاب الزكاة ، باب إنفاق المال في حقه) ، (٩ / ٦٢) برقم: (٧١٤١) (كتاب الأحكام ، باب أجر من قضى بالحكمة) ، (٩ / ١٠٢) برقم: (٧٣١٦) (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ما جاء في اجتهاد القضاة بما أنزل الله تعالى) ومسلم في "صحيحه" (٢ / ٢٠١) برقم: (٨١٥) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه) ، (٢ / ٢٠١) برقم: (٨١٦) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه).

[٢١] التفسير الوسيط، سابق جـ ١ صـ ٦١٩.

[٢٢] سورة النحل، الآية: ١٢٥.

[٢٣] سورة القيامة، الآيتان: ١٤-١٥.

[٢٤] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٧ هـ جـ ٤ صـ ٦٦١.

[٢٥] سورة النساء، الآية: ٦.

[٢٦] تفسير القرآن العظيم، سابق جـ ٢ صـ ٢١٦.

[٢٧] سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

[٢٨] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سابق جـ ١٣ صـ ١٩١-١٩٢.

[٢٩] سورة الأنعام، الآية: ٨٣.

[٣٠] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سابق جـ ٥ صـ ١١٨.

[٣١] الحجرات، الآية: ٤.

[٣٢] تفسير القرآن العظيم، سابق جـ ٧ صـ ٣٦٩.

[٣٣] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سابق جـ ١٣ صـ ٣٠٢-٣٠٣.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- السنة النبوية
- أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية – د/عبد الحميد الصيد الزنتاني – الدار العربية للكتاب – ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م .
- أصول التربية النبوية – محمد بن علوي المالكي الحسيني – طبعة مجمع البحوث الإسلامية – سلسلة البحوث – السنة الرابعة عشرة١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
- أصول الفكر التربوي في الإسلام – عباس محجوب – دار بن كثير–بيروت – الطبعة الأولى ١٩٨٧م،١٤٠٨هـ.
- أهداف التربية الإسلامية – د ماجد عرسان الكيلاني الأردني – دار القلم – الطبعة: الأولى بدون.
- التربية الجمالية في الإسلام – صالح أحمد الشامي – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ،١٩٨٨م.
- التربية الجمالية في تنمية التذوق الجمالي: دراسة ميدانية على طلبة كليتي التربية والفنون الجميلة– وائل يوسف خطّار، رسالة ماجستير، سوريا، جامعة دمشق، ٢٠٠١م.